

## المسرح السمعي

المسرح السمعي ليس وسيلة عرض، بل نظام جمالي وفكري كامل يشتغل بطريقة مختلفة عن كل الفنون المسرحية الأخرى. هذا الفن يشتغل على تحويل "السمع" من مجرد حاسة استقبال إلى أداة بناء وتخيل، بحيث الصوت لا ينقل الحدث فقط، وإنما "يخلقه" داخل ذهن المتلقي لحظة بلحظة.

في هذا النوع من المسرح، المعنى لا يكون جاهز ومغلق، بل يكون مفتوح وقابل للتشكّل. يعني النص والصوت لا يعطون كل التفاصيل، وإنما يتركون فراغات مقصودة، وهذه الفراغات هي التي تدخل المستمع في عملية إنتاج المعنى. فالمتلقي هنا ليس مجرد مستهلك، وإنما مشارك فعلي في بناء التجربة، وكل شخص ممكن يعيش نفس العمل بشكل مختلف حسب خياله وخبرته.

المسرح السمعي يعتمد على ما يمكن تسميته "الترميز الصوتي"، يعني ان كل صوت داخل العمل يتحول إلى رمز يحمل معنى. مثلاً، نوع معين من الصمت قد يدل على خوف، أو تردد، أو حتى نهاية شيء. اختلاف بسيط في نبرة الصوت ممكن يغيّر معنى الجملة بالكامل. لذلك، كل تفصيل صوتي محسوب بدقة، لأن الصوت هنا ليس مجرد وسيلة، بل هو "لغة قائمة بذاتها".

اما العلاقة بين الصوت والخيال في هذا المسرح علاقة تفاعلية جداً. الصوت يثير صورة، والصورة المتخيلة ترجع تأثر على طريقة فهم الصوت. يعني العملية لا تمشي باتجاه واحد، وإنما هي دائرة مستمرة بين ما يُسمع وما يُتخيل. وهذا الشيء يعطي المسرح السمعي عمق فلسفي، لأنه يكشف قدرة الإنسان على تكوين الواقع داخل ذهنه اعتماداً على إشارات ناقصة.

ومن الجوانب المهمة جداً هو "الحضور الغائب". بالمسرح التقليدي الممثل حاضر بجسده، أما هنا فهو غائب جسدياً لكنه حاضر صوتياً. هذا الغياب يخلق نوع من الغموض، ويجعل الشخصية أكثر قابلية للتأويل. المستمع ممكن يتخيل شكل الشخصية، عمرها، ملامحها، وحتى حركتها، دون ان يراها فعلاً. وهذا يفتح مجال واسع للتعدد في التفسير.

كذلك، المسرح السمعي يشتغل على تفكيك فكرة "المكان الواقعي". يعني ان المكان هنا لا يكون ثابت أو ملموس، بل هو حالة صوتية تتغير باستمرار. ممكن تنتقل من فضاء واسع إلى مكان ضيق فقط بتغيير بسيط في الصدى أو قوة الصوت. وهذا يجعل الفضاء مرناً جداً، وأحياناً يتجاوز المنطق الواقعي، فيجمع بين أماكن أو أزمنة بطريقة ما ممكنة في المسرح المرئي.

أما الزمن، فهو عنصر مرن أيضاً. ممكن لحظة قصيرة تُحس كأنها طويلة بسبب الصمت أو التوتر، أو العكس. فالإحساس بالزمن لا يكون مرتبط بالوقت الحقيقي، وإنما بالإيقاع الصوتي والشعوري. وهذا يعطي للمخرج والكاتب قدرة كبيرة على التلاعب بإدراك المتلقي للحدث.

من زاوية نفسية، المسرح السمعي يشغل مباشرة على الداخل الإنساني، لأنه يتجاوز الحواس الخارجية ويركّز على الإدراك الداخلي. الصوت يدخل إلى الوعي بدون حواجز بصرية، ولهذا يكون تأثيره أحياناً أعمق وأكثر خصوصية. بعض الدراسات تعتبره أقرب إلى "التجربة الذهنية" منه إلى العرض الفني التقليدي.

وأخيراً، يمكن النظر إلى المسرح السمعي كفن يختبر حدود اللغة نفسها. لأن اللغة هنا لا تشتغل فقط كوسيلة تواصل، بل كأداة خلق. الكلمة، النبرة، الصمت، كلها تتحول إلى عناصر تبني عالماً كاملاً بدون أي دعم بصري. وهذا يتطلب دقة عالية جداً، لأن أي خلل بسيط ممكن ينهار معه الوهم الكامل الذي ينصنع في ذهن المستمع.

بهذا المعنى، المسرح السمعي هو فن يعتمد على "الحد الأدنى من الوسائل والحد الأقصى من التأثير"، حيث يتحول الصوت إلى طاقة خلاقة، ويتحول الخيال إلى مسرح حي تُعرض عليه كل التفاصيل بدون أن تُرى.

## المسرح البصري

المسرح البصري هو شكل من أشكال الفن المسرحي يقوم أساساً على الصورة والمشهد المرئي بوصفهما العنصر الأهم في بناء العرض، بحيث تصبح الرؤية البصرية هي الوسيلة الأساسية لإيصال المعنى، وليس الحوار أو النص فقط. في هذا النوع من المسرح، ما يُرى أهم مما يُقال، لذلك تتحول الخشبة إلى فضاء مليء بالرموز والحركات والتكوينات التي تُقرأ بالعين قبل أن تُفهم بالكلام.

هذا المسرح ينطلق من فكرة أن الصورة تمتلك قدرة تعبيرية مستقلة، بل أحياناً أقوى من اللغة. فبدلاً من الاعتماد على الحوار لتفسير الحدث، يتم الاعتماد على: شكل الممثل، حركته، موقعه في الفضاء، الإضاءة، الألوان، والديكور، وكلها عناصر تتكامل لتكوين "لوحة مسرحية" حية. المشهد هنا لا يكون مجرد خلفية، بل يصبح لغة بحد ذاته.

في المسرح البصري، جسد الممثل يحتل مركزاً أساسياً، لأنه يتحول إلى أداة تعبير رئيسية. الحركة، الإيماءة، الوقفة، وحتى السكون، كلها تحمل دلالات. لذلك يكون الأداء أقرب إلى التعبير الجسدي أو الحركي منه إلى التمثيل القائم على الحوار. أحياناً يمكن أن يُقدّم عرض كامل تقريباً بدون كلمات، ويظل مفهوماً من خلال الصورة فقط.

الفضاء المسرحي في هذا النوع يُبنى بعناية كبيرة، حيث يتم توزيع العناصر داخل الخشبة بشكل مقصود ليخلق معنى. موقع كل ممثل، المسافات بينهم، الارتفاع والانخفاض، كل هذه التفاصيل تشكّل ما يُعرف بالتكوين البصري. هذا التكوين لا يكون عشوائياً، بل يُصمّم ليقود عين المتلقي ويحدد ما يجب أن يركز عليه في كل لحظة.

الإضاءة تلعب دوراً محورياً أيضاً، فهي لا تُستخدم فقط للإنارة، بل لتحديد الجو العام، وإبراز شخصيات معينة، وإخفاء أخرى، وخلق إحساس بالزمان والمكان. اللون كذلك عنصر مهم، لأن لكل لون دلالة نفسية ورمزية، واستخدامه داخل العرض يضيف طبقة إضافية من المعنى.

أما الزمن في المسرح البصري، فيُدرك من خلال التغيرات التي تحدث في الصورة، مثل تبدل الإضاءة أو حركة الممثلين أو تغير التكوين، وليس فقط من خلال تسلسل الأحداث الكلامية. لذلك يمكن أن تكون لحظة صامتة مليئة بالحركة البصرية أكثر تعبيراً من مشهد طويل من الحوار.

المسرح البصري يرتبط كثيراً بالتجريب والتجديد، لأنه لا يلتزم بالقواعد التقليدية للنص المسرحي. قد يُختصر النص إلى الحد الأدنى، أو يُعاد تشكيله ليخدم الرؤية البصرية للمخرج. في بعض الأحيان، يكون العرض كله مبنياً على فكرة أو صورة مركزية تتكرر وتتحوّل، بدلاً من قصة خطية واضحة.

هذا النوع من المسرح يمنح المتلقي تجربة حسية مباشرة، لأنه يخاطب العين بشكل أساسي. لكنه في نفس الوقت قد يكون أكثر انفتاحاً على التأويل، لأن الصورة يمكن أن تُفهم بطرق متعددة، حسب ثقافة وخبرة كل مشاهد. لذلك لا يقَدّم معنى واحداً ثابتاً، بل يفتح المجال لقراءات مختلفة.

في النهاية، المسرح البصري هو فن يجعل من الخشبة فضاءً تشكلياً حياً، حيث تتحوّل العناصر المرئية كلها إلى لغة قائمة بذاتها، ويصبح العرض أقرب إلى لوحة متحركة تحمل أفكاراً ومشاعر تُفهم من خلال الرؤية قبل الكلمات